



التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم والإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار/عنابة (الجزائر)

التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن



كلية الآداب والعلوم والإنسانية-جامعة باجي مختار/عناية

إدارة المجلة:

مدير المجلة: أ. د. عبد المجيد حنون

رئيس التحرير: د. محمد بلوهم

أمانة التحرير:

-أ. نظيرة الكتر

-أ. نجاة عرب الشعبة

العنوان: مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عناية،

ص ب 12. عناية 23000/الجزائر

الهاتف والفاكس: 49-51-84-(038) / 25-75-84-(038)

البريد الإلكتروني: ettaoussouleladabi@yahoo.fr

الترقيم الدولي الموحد للمجلات: ISSN 1112-7597

العدد الأول: جوان 2007.

أعضاء هيئة التحرير:

- 1-د. محمد بلواهم
- 2-أ. نظيرة الكثر
- 3-أ. نجاد عرب الشعبة

أعضاء الهيئة الاستشارية:

- 1-أ. د مختار نويوات (جامعة عنابة)
- 2-أ. د عبد الحميد بورايو (جامعة الجزائر)
- 3-أ. د الطيب بودربالة (جامعة باتنة)
- 4-أ. د عبد الواحد شريفني (جامعة وهران)
- 5-أ. د عز الدين مخزومي (جامعة وهران)
- 6-أ. د حبيب منسي (جامعة سيدي بلعباس)
- 7-أ. د عيسى بريهمات (جامعة الأغواط)
- 8-أ. د أحمد منور (جامعة الجزائر)

الأعضاء

- 1-أ. د الطاهر رواينية
- 2-أ. د حفناوي بعلي
- 3-د. صالح ولعة
- 4-أ. نسيم عيلان
- 5-أ. عمار رجال
- 6-أ. عبد الحليم منصوري
- 7-أ. علي خفيف

شروط النشر في المجلة:

- 1- تنشر المجلة البحوث والدراسات العلمية التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، وتتسم بالعمق والجدة والأصالة.
- 2- ترسل الدراسات في نسختين وقرص مرن، ويكون حجم المقال في حدود (20) صفحة مقاسها 24×16، مع كتابة الإحالات والمراجع مرقمة في آخر المقال.
- 3- تكتب المقالات بخط (Traditional Arabic) من عيار 16، وبرنامج (Microsoft Word) أو نظام (RTF).
- 4- ينبغي أن ترفق المقالات بملخص تحدد فيه الإشكالية وأهم العناصر والأهداف المتوخاة من الدراسة.
- 5- تخضع المقالات للتحكيم العلمي من الهيئة العلمية.
- 6- تقوم هيئة التحرير بإخطار أصحاب المقالات في حالة عدم النشر لسبب من الأسباب.
- 7- المقالات لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- 8- المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن المجلة.
- 9- يتحصل أصحاب المقالات على نسخة من المجلة وخمس مستلآت من المقال.
- 10- ترسل المواد إلى رئيس تحرير مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن العنوان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، ص ب 12- عنابة 23000/ الجزائر.

الهاتف والفاكس: 038-84-51-49 / 038-84-75-25

البريد الإلكتروني: ettaoussouleladabi@yahoo.fr

الفهرس

الموضوع	الصفحة
افتتاح/ كلمة مدير المجلة.....	7-6
قراءة في العدد بقلم رئيس التحرير.....	12-8
1- من عولة الأسطورة إلى أسطورة العولمة(بحث في الأصول الشرقية لبعض الأساطير الغربية)	
أ. عبد الحليم منصوري.....	25-13
2- في الأسطورة والأسطورة الأنثوية (مقاربة نظرية في الماهية والحدود).	
أ. نظيرة الكتر.....	42-26
3- الخطاب النسوي في أسطورة شهرزاد الأدبية.	
أ.د عبد المجيد حنون.....	60-43
4- حضور إلياذة هوميروس في أدب النوبة بمصر	
أ. نسيمه عيلان.....	70-61
5- فاوست ومسرحية "السراب" لسعد الله ونوس	
أ.عمار رجال.....	79-71
6- الممارسة النقدية عند الآمدى من خلال كتابه " الموازنة بين الطائين "	
أ.نورة جبلي.....	89-80
7-أبعاد التوظيف التراثي عند طه حسين	
أ. ماجدة بن عميرة.....	111-90
8-عز الدين المناصرة .. ناقدا أدبيا وثقافيا ومقارنا	

أ. د حفناوي بعلي 142-112

9- حدود الأدبية

أ.د. الطاهر رواينية..... 149-143

10- مكونات الصورة السردية وموضوعاتها في قصص الأطفال.

أ. عائشة رماش..... 162-150

11- الفن الروائي وفعالية المصطلح النقدي

أ نجاة عرب الشعبة..... 179-163

12- القراءة والتأويل

د. صالح ولعة..... 196-180

13- سيمياء الفضاء المسرحي

د. إسماعيل ابن صفية 210-197

14- تحولات العشق قراءة في قصيدة "بيروت" لمحمود درويش

د . أحمد ياسين العروود..... 240-211

15- المستشرقون ودراسة الأدب العربي

أ. فتيحة سريدي..... 263-241

16- المخبر في سطور..... 265-264

كلمة مدير المجلة:

أيها القارئ الكريم

يسرّ أسرة مخبر الأدب العام والمقارن أن تقدم إليك هذا العدد الأول، من مجلة التواصل الأدبي التي يعتزم أن يصدرها مرتين في السنة لنشر نتاجه في ميادين اهتمام أعضائه العلمية مثل الأدب العام والمقارن والنقد وتحليل الخطاب والأدب التمثيلي والأدب الهامشي... إلخ، ونشر كل جديد في الميادين السابقة الذكر يرد إليه من المختصين والمهتمين داخل الوطن وخارجه سعياً منه إلى تبيين الجهود البحثية واستقطاب الكفاءات العلمية في هذا المجال المعرفي الذي حقق نتائج باهرة عند الآخرين ومازال يخطو خطواته الأولى عندنا رغم عظمة الظاهرة الأدبية العربية وثرائها وتنوعها لسانيا وأجناسا، ورغم تفاعلاتها الداخلية والخارجية قديما وحديثا.

يصدر المخبر العدد الأول من مجلته الآن، بعدما سلخ من عمره سبع سنوات أرسى فيها دعائمه وهياكله، وأنجز عددا من مشاريع البحث، والنشاطات العلمية وكون عددا معتبرا من طلبة الماجستير والدكتوراه في مجالات ذات صلة وثيقة بطبيعة المخبر، وبذلك أصبح يتوفر على طاقات وكفاءات تمكنه من إصدار مجلة يريد بها علمية أكاديمية تعمل من أجل تراكم معرفي في الأدب العام والمقارن وكل ما يتصل به.

اختار المخبر لمجلته اسم التواصل الأدبي تماشيا مع اهتماماته التي تقوم أساسا على دراسة الظاهرة الأدبية في تفاعلاتها الداخلية والخارجية شكلا ومضمونا؛ أي في تواصلها مع الأنا والآخر، وبالتالي فإنّ همّ المخبر الأساس يتمثل في دراسة ما يحدثه الأدب من تواصل، الأمر الذي جعل هيئة التحرير تختار هذا الاسم للتواصل أدبيا مع الماضي والحاضر، مع الأنا والآخر، وبالتالي تتواصل مع الحياة عن طريق دراسة الأدب بواسطة مجلة التواصل الأدبي.

تسعى هذه المجلة، من خلال هيئتها المدبّرة وهيئتها العلمية ومن خلال كلّ الكفاءات التي ستسهم فيها إلى الثبات والاستمرار في الزمان والانتشار عبر المكان لتبليغ رسالتها المعرفية إلى كلّ قارئ مهتم بقضايا الأدب العام والمقارن داخل الجزائر أو خارجها، عن طريق الصدور مرتين كلّ سنة في شكل مجلة ورقية في المرحلة الأولى؛ والانتقال إلى صيغة رقمية بعد ذلك في مرحلة ثانية تماشياً مع متطلبات العصر. ولتحقيق ما سبق ذكره، فإنّ المجلة ترحّب بكلّ الكفاءات العلمية المهتمة بقضايا الأدب العام والمقارن للإسهام فيها وإثرائها بما يجد من بحوث ودراسات، بغية ترسيخ ثقافة أدبية أصيلة من جهة ومتفتحة على التطوّر المعرفي وعلى الآخر من جهة أخرى. ويبقى نجاح هذه المجلة واستمرارها رهين تضافر جهود المخبر والباحثين والقراء لفائدة الجميع أولاً والتطوّر المعرفي ثانياً.

مدير المخبر

أ.د. عبد المجيد حنون

قراءة في العدد

هذا العدد، هو فاتحة مجلة التواصل الأدبي التي يصدرها مخبر الأدب العام والمقارن، ويجب ألا يخفى أن المخبر يضيف بهذا الصنيع نشاطا آخر إلى جملة نشاطاته الفكرية السابقة.

تهدف المجلة عبر هذا الفضاء النوعي الذي يقصر عملها على مجال الأدب العام والمقارن، إلى إتاحة الفرصة أمام الأقلام المتخصصة لكي تفري فريها في هذا المجال. ومن أجل إدراك تلك الغاية كان لزاما على القائمين على المجلة الأخذ بنظر الاعتبار الأساسيات التالية:

أ. الانفتاح على الآخر: حيث يقتضي الانفتاح عدم التقوقع على الذات والاكتفاء بما مرسلا ومتلقيا وحسب، ويشير الآخر إلى الأمم الأخرى التي تتميز عنا عرقا، وثقافة، وبالتالي تتحول إلى مصدر مهم يغذي حياتنا الفكرية.

ب. الامتداد في المكان: يتم التواصل مع الآخر وفقا لهذا الامتداد في شتى أصقاع الكرة الأرضية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.

ج. الامتداد في الزمان: يتم بموجبه معالجة القضايا الخاصة بهذا الحقل قديما وحديثا على حد سواء، ولذلك تجددنا نفتش بعين في التراث الإنساني القديم، ونلاحق بأخرى ما يستجد حديثا.

لا شك في أن المجلة تخطو بفضل هذا العدد أول خطوة باتجاه ما تطمح إليه وفق ما يتبدى من جملة القضايا المتنوعة الواردة في هذا العدد، فإلى جانب الحديث عن الأسطورة والملحمة، نلقى الحديث عن السيمياء ونظرية التلقي.

ولعل هذه القراءة الموجزة في هذا العدد، تنير الكثير من الأمور:

-الأسطورة :

ارتبط ميلاد الأسطورة بتكون المجتمعات الإنسانية قديما، وهو ما يعرف على الصعيد الحضاري بالطور البدائي، ولكنها ما فتئت تخترق آفاق الأطوار الحضارية المتعاقبة، ويكفي دليلا على ذلك، أنها مازالت تحظى بالاهتمام في عصرنا الراهن، بالرغم من التطور العلمي المذهل الذي جعل " ماروزو " يجزم بأن عقلية الشعوب المعاصرة ليست عقلية أسطورية أو لا ملحمية.

ولكن هناك من يرجع عدم موت الأسطورة في العصر الحديث إلى الشائبة الحادة التي تعيشها الإنسانية (بداوة / حضارة)، فهو بدائي و حضاري في آن.

وفي هذا السياق يرى "يونغ" أن الفكر البدائي مستمر عبر النماذج العليا L'archétypes، حيث تنسرب الأفكار القديمة عن طريق اللاوعي الجمعي وبالتالي تستمر.

ويعزز هذا الرأي (ت.س إليوت) في قصيدته "الأرض الخراب أو الياب" بأن الإنسانية تعيش حالة بداوة بالرغم من هذه القشرة الخارجية التي تسمى حضارة، وعلى حد قول نزار قباني : " لبسنا لباس الحضارة والروح جاهلية".

ومن المنطقي أن يؤدي استمرار هذا الفكر الأسطوري إلى أسطورة اللاأسطوري، بإضفاء بعض الخصائص التي تضعه في مصاف الأسطوري، كصنيع بعض الأدباء حين يبالغون في وصف بعض المشاهد أو رسم بعض الشخصيات.

دارت المقالات الخاصة بالأسطورة في هذا العدد على تحديد مهد الأساطير، وماهيتها، وأنواعها، وتحليلاتها الأدبية عبر عصور مختلفة.

يحدد عبد الحليم منصور من خلال بحثه الموسوم بـ [من عوالة الأسطورة وأسطورة العوالة (بحث في الأصول الشرقية عن بعض الأساطير الغربية)] أن مهد

الأسطورة الشرق والغرب على حد سواء، مؤكدا هجرة الأساطير من مكان إلى آخر من خلال إمالة اللثام عن الأصول الشرقية لبعض الأساطير الغربية.

وتحدد نظرية الكثر في بحثها [في الأسطورة والأسطورة الأنثوية (مقاربة في الماهية والحدود)] ثلاثة مصادر للأسطورة، أو ثلاث مركّزات على حد تعبيرها، هي :

1. المرتكز الأسطوري

2. المرتكز الديني

3. المرتكز التاريخي

وذلك إلى جانب تحديد مفهوم الأسطورة وانقسامها الثنائي (ذكر/ أنثى).

ويؤكد عبد المجيد حنون هذا الاختلاف القائم بين الأساطير الذكورية والأنثوية من خلال نشوء خطاب نسوي مناقض للخطاب الذكوري، وبالتالي نشوء كتابة أنثوية مضادة للكتابة الذكورية.

وقد أدى ذلك إلى تحول أسطورة شهرزاد من شهرزاد الأمة الخادمة المطيعة إلى شهرزاد السيدة المتحكمة في مصير شهریار، كما يتجلى ذلك في الكتابات الأنثوية المعاصرة.

وتطرح نسيمه عيلان قضية رحلة الأجناس الأدبية، واختراقها آفاق ثقافية غير التي نشأت فيها، كدأب إلياذة هوميروس التي تلمّست حضورها في أدب النوبة كما يتجلى في بحثها الموسوم بـ (حضور إلياذة هوميروس في أدب النوبة بمصر).

ويؤكد عمار رجال هذا الانفتاح من خلال استلهم سعد الله ونوس في مسرحيته "السراب" أسطورة فاوست وبالتالي شيطانه مفستوفيليس رمز الشر للكشف عن معاناة الشعوب العربية من ظلم حكامهم.

وحظي التنظير النقدي بجملة من الأبحاث، منها ما هو خاص بالنقد العربي قديما وحديثا، وعالجت الأبحاث الأخرى قضايا نقدية عامة.

كشفت نورة جبلي من خلال بحثها الذي عنوانته بـ (الممارسة النقدية عند الآمدي من خلال كتابه الموازنة بين الطائيين) عن نضج النقد العربي من خلال التأسيس النظري والإجراء العملي، كما يتضح من موازنة الآمدي الذي يعد أحد الوجوه البارزة في الحركة النقدية في القرن الرابع الهجري.

وأبرز بحث ماجدة بن عميرة (أبعاد التوظيف التراثي عند طه حسين) أهمية هذا التراث واستمرار إشعاعه في العصر الحديث.

ويؤكد حفناوي بعلي تطور الحركة النقدية بعد طه حسين حين يكشف عن تعدد جهود الناقد عز الدين المناصرة كما يدل بحثه (عز الدين المناصرة ناقدا أدبيا وثقافيا ومقارنا)، ويدل النقد الثقافي عن ملاحقة الجديد الناشئ في الساحة النقدية.

ويدل بحث الطاهر رواينية (حدود الأدبية) على تمايز الحقل الأدبي عن الحقول المعرفية الأخرى، حيث يدل مصطلح الحدود على انغلاق النسق الثقافي الأدبي.

وينقسم هذا النسق الكبير إلى مجموعة من الأنساق الصغرى المتميزة، تؤدي إلى نشوء الأجناس الأدبية المتميزة فيما بينها تمايز الصورة السردية في قصص الأطفال كما تلحّ على ذلك عائشة رماش في بحثها الموسوم بـ (مكونات الصورة السردية وموضوعاتها في أدب الأطفال).

وفي سياق تمايز الأجناس الأدبية تربط نجاة عرب الشعبة في بحثها (الفن الروائي وفعالية المصطلح النقدي) بين تطور الفن الروائي وتكثّر المصطلح النقدي، وهذا نتيجة طبيعية لتعدد المذاهب الأدبية واختلاف المناهج النقدية، وهو الأمر الذي يبرزه بحث صالح ولعة الموسوم بـ (القراءة والتأويل) هذا المنهج الذي يعطي سلطة للمتلقي، ويمثل ثالث محطة في سياق تطور المناهج النقدية حديثا، التي مرت بمرحلة منظومة المناهج السياقية التي تعطي سلطة للمرسل وسلطة للنص، ثم سلطة للمتلقي.

ولم يبق هذا التوجه حبس البحث النظري، بل طبق على العديد من الأجناس الأدبية كما يتجلى في بحث إسماعيل بن صفية الموسوم بـ (سيمياء الفضاء المسرحي) حيث يتلقى المتلقي رسائل من الركح سمعية وبصرية تتعدد بتعدد المسرحيات، يعمل على فك شفراتها وتأويلها وفقا لمنظوره الخاص.

وهكذا تتنوع القراءات بتنوع القراء على غرار ما يظهر في بحث أحمد ياسين العرود الذي عنون بحثه (تحولات العشق، قراءة في قصيدة لمحمود درويش) وقد اجتهد الناقد في سبر أغوار هذه القصيدة وإثارة المناطق المظلمة.

وتبرز فتحة سريدي موقف الآخر (الغرب) من إنجازاتنا الثقافية، وحاولت إمطة اللثام عن عناصر الجذب التي دفعت الآخر إلى الإقبال على تلقي موروثنا في مظاهره المختلفة الأدبية وغير الأدبية، وهو ما يغري بالمزيد من التأمل في هذا الموروث.

إن أول الغيث قطر، ونأمل أن يكون هذا العدد أول قطرة سينهمر بعدها

الغيث.

رئيس التحرير

د. محمد بلواهم

حضور إلياذة هوميروس في أدب النوبة بمصر

أ. نسيمه عيلان

جامعة عنابة

تعتبر الحضارات سجلا حافلا بالأحداث و الممارسات التي تصنعها الجماعات البشرية والمدنيات عبر مراحل التطور التي تعيشها الإنسانية في رقيها الصاعد. و يحدد تاريخ الحضارة في مفهومه الأوسع ما أسدته كل جماعة من هذه الجماعات البشرية للتراث البشري المشترك.⁽¹⁾

و اليوم وقد أصبحت العولمة حديث الساعة على الساحة الدولية - و العولمة نسق من المفاهيم يسعى لتوحيد نظم الحياة على مستوى الكرة الأرضية في إطار ما يسمى بالنظام العالمي الجديد - يجذر بنا أن نؤكد أنه مهما أُلغيت الحدود بين الجماعات البشرية و حاولت أقواها احتواء الأضعف ، فهذا لا يعني البتة أن طابع التفرد و التميّز الذي يطبع كلا من هذه الجماعات في مختلف أنشطتها العقلية، قد يزول يوما أو يمكن إلغاؤه ذلك أن أصالة أنشطة الإنسان و ممارساته و مهاراته هي وحدها التي تمكّن من إثراء التراث الإنساني و الارتقاء به. والحديث عن الأصالة ذو شجون و يثير في النفس عددا من التساؤلات خاصة في ظل العولمة الزاحفة بخطى سريعة نحو إلغاء كل خصوصية. من هذه الأسئلة:

هل يمكن للأدب، الأكاديمي منه و الشعبي، أن يحتفظ بأصالته أي خصوصيته؟ و الواقع أن الأدب بألوانه و فنونه مازال يحتفظ بهذه الخصوصية التي تنسجها البيئة و العصر وتضفي على الإبداع سحراً لا يقضي عليه طوفان الزمن، و يجعل من هذا الإبداع رصيذا حياً و معينا لا ينضب.

ومن ذلك ما زحرت به صفحات الأدب اليوناني القديم و جادت به قريحة المجتمع اليوناني على لسان الشعراء الأسطورة هوميروس في إحدى جوهرتيه "ملحمة الإلياذة". والإلياذة وهي الملحمة الأولى من ملاحم اليونان، تحكي عن وقائع حرب دارت رحاها بين اليونان القديمة وطروادة في عصر البطولات الذي يمتد حسب الدارسين من القرن 23 ق.م إلى غاية القرن 11 ق.م. ودامت هذه الحرب مدة عشر سنوات إلا أن الملحمة تروي أحداث السنة الأخيرة من هذه الحرب التي نشبت بسبب فرار هيلانة (أو اختطافها حسب رواية أخرى) - أجهل امرأة في ذلكم العصر - مع باريس ابن بارثام، ملك طروادة. ومن بين أبطال هذه المعركة من الجانب اليوناني: آشيل، آغاممنون وأخوه منيلاس زوج هيلانة بنت زوس كبير الآلهة في المعتقدات اليونانية، وأمه ليدا وهي من البشر، وأوديسيوس. وقد اشتهر أوديسيوس بقوسه في ملحمة الأوديسا كما اشتهر بحيلة الحصان الخشبي الذي صنعه الإغريق في حجم كبير وأخفوا فيه الجنود ووضعوه قرب أسوار طروادة فأثار فضول الطرواديين، ففتحوا باباً وأدخلوه وما لبث الجنود القابعون بداخل الحصان أن خرجوا وانقضوا على الطرواديين وانتهت المعركة بسقوط طروادة وانتصار الإغريق واسترجاع هيلانة سالمة إلى زوجها الملك منيلاس⁽²⁾.

هذا ما جاء به الأدب الأوروبي من روائع خالدة، أما ما جادت به قريحة المجتمع المصري في أرض النوبة ويحمل علامات دالة على صلته بالإلياذة وتوظيف بعض عناصرها، فقد جاء ضمن حكاية من حكايا النوبيين "الغزال الخشبي".

ويرجع تاريخ النوبة بأرض مصر إلى ألف سنة ق.م⁽³⁾ وتروي حكاية "الغزال الخشبي" قصة حب بين فتى ابن فلاح و بنت السلطان. وكان الملك يريد تزويج ابنته لأحد الملوك في حين رأت ابنته الفتى وتعلقت به من النظرة الأولى، و لعلمها أن والدها لن يقبل بهذا الفتى، حزنّت الأميرة و انتكست صحتها و هزل جسمها. وعاد الفتى إلى بيته، وأصبحت صورة الأميرة تتراءى له في كل

شيء وأوشك على الهلاك وهو يطوف حول القصر لعله يظفر بنظرة إلى من سلبت لَبَّه وحرمة من النوم.

وزار الفتى عجوز واسعة الحيلة والخبرات، و سألته عن سبب مرضه الذي عجز الأطباء عن مداواته. وأسرَّ الفتى للعجوز بسبب مرضه وأنه ميثوس من وضعه لأنه يحتاج إلى معجزة، ومعجزة زواج فلاح من أميرة لا سبيل إلى تحقيقها. وتركت العجوز الفتى لتمكث بالبيت طويلا وتبحث مع الأم عن وسيلة لإسعاد الفتى. وانتهت إلى أن شفاء الفتى يحتاج إلى الكتمان والتضحية عندما عثرت على صندوق في الحجرة. وطلبت إحضار نجار ماهر ليحوّل الصندوق إلى تمثال غزال وأن يظلّ هذا الأمر سرا، وأتمّ النجار صناعة التمثال الخشبي وانصرف، وحضر صانع الحلّي ليزيّن الغزال الخشبي. وفي اليوم الموالي، وضعت العجوز الغزال الخشبي وبداخله الفتى المتيم، على ظهر حمار ومضت به إلى قصر السلطان حيث احتفى بها، خاصة وأنّ السلطان قد ألف قدومها إليه وحلّ مشكلاته. وأخبرت العجوز السلطان أنّها ذاهبة إلى الحجّ وتريد أن يحفظ عنده الغزال الخشبي إلى حين رجوعها. ووافق السلطان في الحال، وتمتّ عليه العجوز أن يضعه في غرفة الأميرة المريضة حتّى لا يعثب به أحد، ويكون في رعايتها، كما أخبرته أنّ الغزال يملك قدرات خارقة على إنقاذ الناس من أمراضهم، فابتهج السلطان وسعد بما قالتها العجوز وأمر الحراس بأن يضعوا الغزال في حجرة ابنته. وغادرت العجوز القصر مودّعة السلطان. و عادت إلى أم الفتى الفلاح وطمأنتها عن ابنها وأخبرتها بأنّه بجانب بنت السلطان.

وما إن أرخى الليل سدوله، حتّى خرج الفتى من الصندوق، واحتفت به الأميرة وعندما صاح الديك أدخلته بنت السلطان إلى الصندوق ونامت. وزار الملك ابنته عند الصباح فوجدها مبتسمة وراحت حالها تتحسن شيئا فشيئا حتى صارت في حال أفضل. وأتت العجوز بعد غياب طويل تطلب الغزال. فعرض عليها السلطان مالا كثيرا على أن

تترك له الغزال لكنها رفضت. فتدارك السلطان وحَدَّث العجوز عن المكافأة العظيمة التي سيمنحها لها لأنها أشفت ابنته، وعرض عليها أن تطلب منه ما شاءت، وأنها لو طلبت منه نصف ملكه لأعطاها إياه، غير أن العجوز تمنت عليه أن يلبي طلبها ويقسم بذلك، فأقسم السلطان أن يحقق رغبتها، وطلبت منه العجوز أن يزوّج ابنته من الفتى الفلاح، وهو كريم النفس ونظيف اليد. وفكر السلطان قليلا، وما لبث أن وافق وفاءً بوعده. وذهبت العجوز لتبشر الأم وهي تحمل الفتى داخل الغزال الخشي على ظهر الحمار، وما إن أدخلت الصندوق إلى البيت وأغلقت الباب ومضت تحدّث الأم حتى خرج الفتى وهو يرقص من الفرح، وسعدت الأم وأقيم عرس اشترك فيه كل أهل البلد لإعجابهم بأخلاق الفتى. وبني الفتى لعروسه بيتا على شاطئ النيل اعتبرته الأميرة أعظم وأكثر هناء من قصر السلطان⁽⁴⁾.

وإذا تمعنا في القصتين اليونانية والنوبية، يستوقفنا الكثير من المشابه التي تدلّ دون ريب على تأثر المتلقّي اللاحق وهو الأدب النوبي بالمرسل السابق وهو الأدب اليوناني. وإن كانت العلاقة التاريخية بين مصر واليونان قديمة قدم التاريخ وتؤكد ما أشار إليه الدارسون المقارنون من وجود جسور بين البلدين، يسّرت انتقال المعارف ووطّدت الصّلات التي طبعت على مدى العصور الآداب والممارسات والمهارات بطابع التّشابه، فأصبحت مادّة يستقي منها المقارنون موضوعات شيّقة للدراسة.

ولعلّ أطرف ما جاء به أحد الدّارسين للأدب اليوناني، ويدعم ما ذهب إليه الإغريق من اعتبار صلتهم بالمصريين صلة حميمة، قصة إحدى النيمف (وهنّ بنات المحيط وآهة إناث للبحار والأنهار والعيون والآبار والغابات والجبال كما تروي الأساطير)، وهي يو Io بنت إيناخوس (نهر بمقاطعة الأرجوليد) التي اتّخذتها هيرا زوجة زوس كاهنة في معبدها فأحبّها زوس وأخذ يتردّد عليها في صورة سحابة. ولما علمت هيرا بذلك مسختها عجلة لتضلل زوجها زوس. ولم يثنه ذلك فاستحال إلى ثور واستطاع أن

يستمرّ في اتصاله بيو. وعلمت هيرا بالخيلة فأقامت حارسا على العجلة. وأتى هرمس بأمر من أبيه زوس فحلّص يو بقتل الحارس. إلا أنّ هيرا سلّطت على يو ذبابة أليمة الوخز فأضاعت رشدها وراحت يو تضرب في الأرض دون أن تهدي إلى أن ألقت عصاها بمصر. وثمة التقى بما زوس وأعاد لها صورتها الإنسانية وأنجب منها إيبافوس الذي كان من نسله إجيبيتوس وهو أبو المصريين وأول ملوكهم في نظر الأساطير اليونانية⁽⁵⁾.

فالعلاقة التاريخية بين هذا الجزء من إفريقيا وذاك الجزء من أوروبا علاقة طبيعية وحميمة خاصة إذا ما تأملنا الموقعين المطلين على البحر الأبيض المتوسط ضمن منطقة اعتبرت دوماً ملتقى للحضارات منذ أن وُجد الإنسان على الأرض.

وقد تتشابه الآداب نتيجة توارد الخواطر على موضوعات بعينها، كما تتشابه المضامين الثقافية وإن اختلفت بيئاتها وتعدّدت أساليبها وتنوّعت اللّغات التي تنقلها أو تدوّنّها لأنّها لا تخرج عن تطلّعات مشتركة للشّعوب في مواجهة تحدّيات الحياة، وتجاوز المحن، وتحقيق الآمال والطموحات. ويعكس هذا التنوّع في أشكال التعبير عن هذه المضامين الثّقافية، و ممارساتها على أرض الواقع، ثراء في فنون القول والممارسة وهي الجداول التي تصبّ في نهر الثّقافة العالمية.

وقد تكون القرائن والدلائل المؤكّدة للصّلة الفعلية التي تمّت بين الأدب التّوبي في مصر والأدب اليوناني، لا تعدو أن تكون إقرارا لتشابه في نتائج التجارب الإنسانية. ولكن التماثل بين الأثرين بلغ حدّا من الدقة يتعذّر معه نفي كل صورة من صور اللقاء الفعليّ بينهما، ممّا يفسح المجال في إطار الدّراسة المقارنة إلى الكشف عمّا تسلّل إلى الحكاية التّوبية "الغزال الخشبي" من مؤثّرات مصدرها: "إلياذة هوميروس"

1- صور التشابه بين القصتين:

ويجمع بين الأثرين حديثهما عن الحيلة التي ستمكّن الإنسان من مواجهة التحديات التي يطرحها الموقف والاعتماد على توظيف الذكاء، ففي الإلياذة التي تحكي عن حرب طروادة لم يتمكّن الإغريق من الانتصار إلا بفضل دهاء وذكاء أحد أبطالهم وهو أوديسيوس الذي خرج من مملكته إيثاكا على رأس جيش كبير لدعم الإغريق من أجل استرجاع الشرف الضائع بعد اختطاف أو فرار هيلانة، فصنع حصانا خشبيا أثار فضول الطرواديين ففتحوا الأسوار وأدخلوه فكانت هزيمتهم.

كذلك في الحكاية النوبية لم تتمكن العجوز الداهية من حلّ معضلة ابن الفلاح بعد أن أحبّ الأميرة وأحبّته وهي تتردد بين القصر وبيت الفلاح من الفوز وإشفاء مريض الحبّ بزواجهما إلا عن طريق الغزال الخشي الذي قبع بداخله ابن الفلاح وانطلقت الحيلة على السلطان وعاش الفتى داخل القصر دون علم السلطان.

ونلاحظ أن الدافع وراء هاتين الحيلتين وفي الأثرين الأدبيين هو الفوز بامرأة، هيلانة في الإلياذة لأنها أُرْجعت سالمة إلى الإغريق، وبنت السلطان التي ظفر بها ابن الفلاح في الحكاية النوبية، والمرأة في القصتين من العائلة الملكية فهي زوجة الملك منيلاس في الإلياذة وبنت السلطان في الحكاية النوبية.

وفي القصتين البطلتان: هيلانة — التي قامت بسببها حرب طروادة بعد أن فرّت مع باريس أمير طروادة — تحبّ باريس في الإلياذة، وبنت السلطان تحبّ الفتى ابن الفلاح في الحكاية النوبية.

والبطلتان تقعان في المحضور اجتماعيًا، فهيلانة زوجة أحد ملوك الإغريق الذين تعهدوا بالدفاع عنها إن مسّها سوء وهذا قبل أن يقترن بها الملك منيلاس لأنها كانت فاتنة عصرها، وفرّت مع باريس ولم تستطع أن تتغلّب على نزواتها وهي تعرف تمامًا أن هذا الأمر سيلحق العار بأهلها وبلدها. كذلك عاشت بنت السلطان مع غريب في قصر

أبيها و لم تُلقِ بالا إلى النتائج التي قد تنجم عن تصرفها، مستهترة بكل القيم في سبيل إرضاء نزواتها.

و في القصتين أيضا تشابه من حيث النتيجة التي نجمت عن الحيلة، فبطل القصة التوبية ابن الفلاح كان بداخل الغزال الخشبي و مكّنه هذا التستر من الفوز بينت السلطان. أما البطولة الجماعية في الإلياذة فقد تجسّدت في هذا الحشد من خيرة جنود الإغريق الذين كانوا داخل الحصان الخشبي و استطاعوا بهذا التستر الفوز بهيلانة خدمة لزوجها الملك منيلاس.

كما يتحقّق أبطال القصّتين هذا الفوز بعد أن تركوا ديارهم وركبوا المجهول. ولإن كانوا مصمّمين على التّجّاح في المهمة فلم يكونوا متأكّدين من الانتصار، فتجمع بينهم في القصّتين المغامرة التي لم تكن محسوبة العواقب. وللسرّ وكتمانه وللغموض دور في تحقيق المعجزة، فقصة الحصان الخشبي يلفّها السرّ والغموض وكذا حكاية الحصان الخشبي.

2- صور الاختلاف بين القصّتين:

وكما لاحظنا وجود صور من التشابه بين النصين العربي واليوناني، تؤكّد التلاقي بينهما نتيجة ظروف تاريخية ربطت بين الحضارتين، لاحظنا أيضا وجود مواقف وصور وأخيلة ميّزت تارة نصّا عن آخر واختلّفت تارة من نصّ لآخر، ذلك أن التفاعل بين الأدب اليوناني والأدب المصري يعني بالضرورة أنهما التقيا في حقبة من حقب التاريخ واستفاد النص العربي في مرحلة نهوضه وازدهاره من الأدب اليوناني. ألا يقرّر غوته في معرض حديثه عن فك العزلة والحصار عن الأدب القومي، أن في كل أدب حاجة دوريّة للتلقّف نحو الخارج، أي أن أدب أمة ما لا ينهض إلا بانفتاحه على الأمم الأخرى ليجدّ منابع إلهامه فتتجدّد أفكاره. والواقع أن المتلقّي المبدع في الحكاية الشعبية

المصرية من التوبة نقل ما تلقاه بعد أن طبعه بثقافته معتمدا على تراثه ومضيفا معارف أسلافه.

وهذا ما برز في عدد من صور الاختلاف بين القصتين المدروستين، وهي صور تدل على تفرّد كل منهما، وتميّز كلّ قصة بخصائص استجابة للاختلاف في المعتقد والبيئة الاجتماعية والهدف الذي وضعت من أجله القصة وهذه الصور تتجلى فيما يلي:

كان الدهاء في الملحمة من نصيب أوديسيوس الذي تلازمه أثينا إلهة الذكاء في المعتقدات الوثنية الإغريقية، فهو صاحب حيلة الحصان الخشبي التي انخدع بها الطرواديون، أما الدهاء في الحكاية النوبية فهو من نصيب العجوز التي فكّرت وسهرت على صنع الغزال الخشبي الذي كان وسيلة لتمرير الخدعة على السلطان وهذا ما يتفق وطبيعة الأدب الشعبي عموما الذي يرى أن المرأة تعوّض ضعفها بالقدرة على الاحتيال والكيد.

وقد هجرت بطلّة الإلياذة زوجها وذهبت مع من أغراها بحبه، أما بطلّة الحكاية النوبية فقد التحق بها من أغوته بحبّها.

والحب في القصة النوبية حب طبيعي عادي بين فتاة وفتى في سن الشباب، إلا أنه يُصدم بعدم التكافؤ الاجتماعي، فالفتاة بنت السلطان والفتى فقير ابن فلاّح، وقد يمكن تجاوز مثل هذه المشكلة في إطار التطور الإيجابي نحو مجتمع يؤمن بالمساواة بين أفرادهِ. في حين أن الحب الذي تتحدث عنه الإلياذة حبّ محرّم لا تسمح به معتقدات الشّعوب قاطبة قديما وحديثا، ذلك أن هيلانة هي زوجة ملك سيرة إحدى أكبر حواضر الإغريق في التاريخ القديم. ومثل هذه المشكلة التي أوقعت فيها هيلانة أهلها تعتبر ضربا لقيم المجتمع وثوابت الأسرة.

وتندخل الآلهة في الملحمة الهوميرية فتوجّه الأحداث في الوجهة التي تريدها. مما توحى به للأبطال وهذا ما يتفق وروح العصر الوثني الذي نُظمت فيه الإلياذة.

أما الحكاية النبوية فيطبعها الإسلام وجاء فيها ذكر الحج إلى بيت الله الحرام، وقد تتدخل المعتقدات الشعبية فتوظفها العجوز في تمرير حيلتها حيث تقول أن الغزال ساحر ويملك قدرات كبيرة لإنقاذ الناس من أمراضهم. كذلك كانت حيلة الغزال الخشبي وسيلة إيجابية بالنسبة لكل المحيط وعادات بالفائدة على الجميع حيث تم زواج الفتى من الأميرة وانتهت محنتها، وسعد السلطان والقصر، كما سعد أهل الفتى، ونالت العجوز حظها من المكافأة. وتتفق هذه النهاية السعيدة مع طبيعة القصة الشعبية التي تنأى عن طرح تعقيدات الحياة وتحديات المجتمع المعقدة. وإن تحدثت عن تحدّد لعادة اجتماعية محاولة تجاوزها، فهي إنما تحاول أن تحدث توازنا في المجتمع باستغلال مشاعر الإنسان والإيحاء بأنّ الحبّ قادر على تجاوز كلّ المحن.

في حين أن حيلة الحصان الخشبي لم تكن بهذا الإيجاب، لأنها حققت النصر والسعادة للإغريق، ولكن الهزيمة كانت من نصيب الطرواديين. ويتفق هذا الإزدواج في نهاية الملحمة مع روح الملحمة التي تتسع لكثرة الأحداث وطول النفس وكثرة الأبطال وذلك لتطرح القضايا الفلسفية المعقدة التي يواجهها الإنسان في الوجود والتحديات الكبرى في حياته مما يثير تأمله وتساؤلاته الكثيرة وحيرته إزاء الثنائية في هذا الوجود وعلاقة الإنسان بالآلهة وعلاقته بالآخر...

وختاما لهذه الجولة في صفحات الأدب العالمي، ومن خلال دراسة الأثرين بدا أن مواطن اللقاء بين قصة حصان طروادة وقصة الغزال الخشبي واضحة. وقد شاع جوّ الملحمة اليونانية عموما في القصة النبوية. وهذا ما يؤكد على صلة القاصّ المصري من التوبة بالملحمة اليونانية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. إلا أن صور التشابه بين القصّتين لا يمكن أن تخفي معالم الأصالة البادية في كل قصة وهذا ما تدعمه صور الاختلاف التي أشرنا إليها.

الهوامش:

- 1- أندري إيمار وآخرون - تاريخ الحضارات العام - منشورات عويدات - بيروت، باريس - تر فريد داغر وفؤاد أبو ريجان - ج 01 - 1981 - ط 02 - ص 11 .
- 2- علي عبد الواحد وافي - الأدب اليوناني القديم - دار المعارف - مصر - د ت - ص 68/79.
- 3- هـ. يومان - شعوب وحضارات إفريقيا - باريس - 1962.
- 4- إبراهيم الشعراوي - الخرافة والأسطورة في بلاد التوبة - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة - 1984 - ص 184/188.
- 5- علي عبد الواحد وافي - الأدب اليوناني القديم - المرجع السابق - ص 22.